شذرات من حياة الشيخ أبي الحسن الندوي

١٣٣٣-١٤٢٠هـ
١٩١٤-١٩٩٩م

أ. محمد يوسف الجاهوش

مقدمة:

وإذا النَّدَوِيَ ذكرت فمرحبا   بالصالحين فذاك جمع مفرد

الذين يجمعون العقل المستنير والعلم الغزير إلى القلب الحي، والعاطفة الجياشة وسلامة الصدر ووضوح الرؤيا - في عالم الإسلام - قليل.

والذين يسخرون عقولهم وعلومهم وعواطفهم ومراكزهم لخدمة دينهم، والذب عن إسلامهم أقل من أولئك بكثير.

وأقل من هذين الصنفين: من تحترق قلوبهم، وتتفتت أكبادهم حسرة وألما على الإسلام وأمة الإسلام.

فكيف إذا اجتمعت هذه الصفات برجل واحد! - مقرونة بالسهر الناصب، والبحث الدائب وتحدي كل المصاعب - لبيان أحكام القرآن، وعظمة الرسول، ومحاسن الإسلام، وسمو رسالته، ومفاخر حضارته؟

فضلا عن ملاحقة أعدائه في كل ناد وساح، لكشف عوارهم، وتعرية

(*) الشيخ أبو الحسن الندوي: أحد أعضاء الهيئة الاستشارية لمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. واعترافاً بفضله تم تكليف الأستاذ: محمد يوسف الجاهوش مدير تحرير المجلة بكتابة هذه الدراسة.

باطلهم، وإبطال دعواهم، وفضح جهلهم وتآمرهم، ومن يساندهم ويمولهم.

ما نشك أن هذا الطراز الرائع من الرجال هو من ينطبق عليه – بحق – قول رسولنا العظيم – ﷺ-: (الناس كإبل مائة، لا تجد فيها راحلة) متفق عليه.

إن هذا الصنف الرفيع من الأفذاذ نادر في دنيا الناس، يمتن الله – تعالى – على الأمة به كلما اشتد بلاؤها، وطال ليلها، وتآمر عليها أعداؤها، أو عقها نفر من بينها.

ومن رحمة الله – تعالى – بهذه الأمة: أنه لا يخلو جيل من وجود هؤلاء الربانيين، يأتون على قدر، فيجددون معالم الدين، ويحيون رسومه وما أمات الناس من سننه، ويقاومون ما أحدثوامن بدع وضلالات، وينطلقون بالأمة في طريق التحرر والنهوض والعودة إلى المنابع الأولى.

وإن فضيلة الشيخ أبي الحسن – فيما نحسب ولا نزكي على الله أحدا – علم بين هؤلاء العظماء الأعلام الذين توالوا في تاريخ أمتنا، وجمعوا من صفات الخير والرجولة ما بوأهم منزلة القيادة والريادة، وكانوا كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة.

لقد كان – رحمه الله تعالى – من العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، أصحاب العقول النيرة، والقلوب الحية، والعاطفة الموارة، والبيان السديد. الذين حرصوا على الوقت والجهد فلم يضيعوهما في فرعيات الأمور وجزئياتها.

نعم لقد تسامى الشيخ الندوي – رحمه الله – وضنَّ بوقته أن يضيع في غير ما يفيد الإسلام والمسلمين. وبرز للناس الداعية الأنموذج في شمول العلم، ودقة الفهم، وشدة الوعي، وحدة الذكاء، وجرأة الجنان، والصبر الدؤوب على ملاحقة الأعداء، ومتابعة الأحداث.

وأثبت – رحمه الله – بسيرته الذاتية، ومسيرته الدعوية؛ إمكان استئناف الحياة الإسلامية والعيش على نهج الرعيل الأول من الصحابة والتابعين.

لقد عاش حياة الجهاد والكفاح بكل أبعادها، وبأوسع ضروبها وألوانها.

كبرت سنّه فكبرت – معها – همته، وضعف جسمه، فازدادت عزيمته قوةً ومضاء، لم تقعده شيخوخته ولا ضعف جسمه عن الضرب في الأرض: داعيا إلى الله – تعالى –، معلِّما لكتابه، ناشرا لدينه، مبتغيا من فضله، مقيما للصلاة، مؤتيا للزكاة، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مقرضا ربه قرضا حسنا، مقدما بين يدي قدمته على خالقه ما هو واجده خيرا وأعظم أجرا.

ولقد استمر على نهجه – هذا – حتى لقى ربه في يوم الأحد ٢٣ من رمضان المعظم ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/١٢/٣١م.

مضى طاهر الأثواب تبق روضة ... غداة ثوى إلا اشتهت أنها القبر

وسنعرض في هذا البحث شذرات من حياته الحافلة.

اسمه ونسبه وأسرته:

– علي أبو الحسن بن عبدالحي بن فخرالدين الحسني، ينتهي نسبه إلى عبدالله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية، بن عبدالله المحض، بن الحسن (المثنى)، بن الإمام الحسن السبط الأكبر، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وكان أول من استوطن الهند من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري: الأمير السيّد قطب الدين المدني (٦٧٧هـ).

– أبوه: العلاّمة الطبيب السيد عبدالحي الحسني الذي استحق بجدارة لقب «ابن خلكان الهند» لمؤلفه القيم «نزهة الخواطر» في ثماني مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم، طُبِعَ أخيراً باسم «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام».

– أمه – رحمها الله – كانت من السيدات الفاضلات، المربيات النادرات، المؤلّفات المعدودات، والحافظات للقرآن الكريم، تقرض الشعر، وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ.

ميلاده ونشأته:

- أبصرَ النورَ في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م بقرية «تكية كلان» الواقعة قرب مديرية رائي بريلي في الولاية الشمالية (أترابرديش).

- بدأ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم في البيت، ثم دخل في الكُتَّاب، حيث تعلّم مبادئ اللغتين (الأوردية والفارسية).

- توفي أبوه عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وكان عمره يتراوح آنذاك بين التاسعة والعاشرة، فتولت تربيته أمه الفاضلة، وأخوه الأكبر الدكتور عبدالعليِّ الحسني الذي كان يدرس في كلية الطب بعد تخرّجه من دار العلوم ديوبند الإسلامية، ودار العلوم ندوة العلماء، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية سماحة الشيخ الندوي.

مسيرته التعليمية:

- بدأ دراسة العربية على الشيخ خليل بن محمد الأنصاري اليماني في أواخر عام ١٩٢٤م، وتخرّج عليه في الأدب العربي، ثم توسَّعَ فيه وتخصَّصَ على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م.

- التحق بجامعة لكهنؤ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧م، ولم يتجاوز عمره الأربعة عشر عاماً، وكان أصغر طلبة الجامعة سناً، ونالَ منها شهادة (فاضل أدب) في اللغة العربية وآدابها.

قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كتباً تعتبر في القمة في اللغة العربية والأوردية، مما أعانه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة، وإقناع الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية، وتَعَلَّمَ الإنجليزية وتمكن من قراءة الكتب المؤلفة بها في التاريخ والأدب والفكر.

- التحق بدار العلوم - ندوة العلماء - عام ١٩٢٩م، وكان همه الأول أن يقرأ تفسير كتاب الله - عز وجل - ثم سنة رسوله - ﷺ - وتحقق له ما أراد. فقد درس تفسير القرآن كاملاً على العلامة المفسر المشهور: الشيخ

أحمد علي اللاهوري في لاهور عام ١٣٥١هـ، عام ١٩٣٢م. كما قرأ الكثير من تفسير البيضاوي على العلامة الشيخ حيدر حسن خان الطونكي، وفي السنّة النبوية قرأ صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي على العلامة المحدث الشيخ حيدر حسن الطونكي، ونال الإجازة منه ومن الشيخ عبدالرحمن المبارك فوري، صاحب (تحفة الأحوذي).

وحضر - كذلك دروس الشيخ العلامة حسين أحمد المدني في الصحيحين وسنن الترمذي خلال إقامته في دار العلوم، ديوبند، فجمع بين جهابذة الأدب والحديث والتفسير.

الرجال الذين أثروا في توجيهه:

ويسمي الشيخ من الرجال الذين أثروا في توجيهه أخاه المرحوم الدكتور عبدالعلي الحسني، ويصفه بأنه جمع بين الثقافتين الدينية والعصرية، إذ تلقى دراسته في المدارس الدينية والجامعات العصرية. وأنه كان ذا فضل كبير على ثقافته.

ثم المشايخ أحمد علي اللاهوري والشيخ محمد إلياس مؤسس حركة الدعوة والتبليغ بالهند وفي العالم الإسلامي، ثم المربي الجليل الشيخ عبدالقادر الرائيبوري، ثم شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، ثم السيد طلحة الحسيني أحد كبار الأساتذة في جامعة البنجاب.

يقول الشيخ محمد المجدوب رحمه الله:

ويدع الشيخ أثر هؤلاء الفضلاء دون تحديد، فلا يعلمنا في أي اتجاه، ولا من أي نوع، ولكن ذلك لا يحجب عنا الواقع الذي نعرفه من خلال آثار الشيخ، ومن خلال مسلكه في خدمة الدعوة، ثم من خلال ما اشتهر به بعض الذين نعرف آثارهم من أساتذته هؤلاء.

وفي ما كتبه الشيخ أبو الحسن عن روائع إقبال وأفكاره الإسلامية وتأملاته الفلسفية ما يكفي لاستخلاص الصورة المنشودة عن تأثيره في توجيهه الأدبي والفكري.

وقصارى القول في ذلك: إن الشيخ أبا الحسن - رحمه الله - قد وفق من ملابسته لهذه الثلة الممتازة إلى أن يجمع بين الثقافة الصحيحة والأسوة الحسنة. وإنها لبقية من منهج التعليم الإسلامي، الذي لا يقبل التفريق بين التعليم والتربية، ذلك المنهج الكريم الذي مسخه، بل نسخه، نظام التعليم الغربي، حتى أوشك أن يستحيل أثراً بعد عين - ويا للأسف -!.هـ

العلوم التي يؤثرها:

ويحدد الشيخ - رحمه الله - العلوم التي يؤثرها بحبه فيحصرها في: القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم التفسير، والتاريخ، والأدب.

ولو سكت الشيخ عن هذا الجانب لأمكننا استخلاصه من مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته وأحاديثه. وقديماً قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولا قرين أعمق أثراً في قلب الإنسان وعقله وسلوكه من العلم الذي ينسجم معه ويصدر عنه.

والإنسان - بقليل من الممارسة والملاحظة - يمكنه أن يفرق بين امرئ وآخر عن طريق الحديث الذي يسمعه أو يقرأه لكل من الاثنين.

وقارئ الشيخ أبي الحسن - رحمه الله - يدرك أنه ثمرة مونعة من حديقة الثقافة الإسلامية الأصيلة.

لقد كان - رحمه الله - يدرك أن الجمع بين هذه العلوم وإيثارها على غيرها هو الأمر الذي يكون شخصية الداعية تكويناً ناضجاً ومستنيراً، إذ أنه كان يرى أن التاريخ مرآة الأمم البائدة، وخزانة العبر المبررة لأسباب النهوض والهبوط في حياتها، فليس ثمة من سقوط أو نهوض يحدث عفواً أو اتفاقاً، وإنما هي سنن وقوانين مرتبطة بتصرفات الأمم وأعمالها، فعلى هذه التصرفات والأعمال تتوقف مصايرها في مسيرة التاريخ.

وعلم القرآن والحديث، - فضلاً عن كونه المصدر الرئيس والمنبع الأول

للثقافة الإسلامية، فهو كذلك الدليل الهادي إلى أسرار هذه السنن الإلهية وعملها في حياة البشر، وكل منهج لدراسة التاريخ لا يستمد من هذه الضوابط سيظل جهداً ضائعاً ينقض بعضه بعضاً.

والتمكن من علوم الأدب والتمرس به أداة لا معدى عنها لإبراز هذه الحقائق والإفادة منها على أفضل الوجوه.

وقارئ كتب الشيخ - رحمه الله - يتجلى له بوضوح كيف أمكنه الإفادة من هذه العلوم لخدمة مثله العليا بصورة مثلى.

كما يشعر أن في عباراته الأدبية سحراً قلّما يتوافر إلا للنخبة من أصحاب المواهب. وكذلك يشهد قارئوه أحداث التاريخ تموج بالحياة وبالعبر في آنٍ معاً.

جهوده العلمية ونشاطاته الدعوية:

لما اشتد ساعد الشيخ - رحمه الله - وأصبح مؤهلاً لخوض معركة الحياة. بدأ مسيرته العملية قياماً بواجب الدعوة والبلاغ، فقد انخرطَ في سلك التدريس من عام ١٩٣٤م، وعُيِّنَ أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب، وخلال تدريسه في دار العلوم ندوة العلماء استفاد من الصحف والمجلات العربية الصادرة في البلاد العربية، مما عرفه على البلاد العربية وأحوالها، وعلمائها وأدبائها ومفكريها عن كثب، واستفاد - أيضاً - من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيين.

قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩م، تَعَرَّفَ فيها على الشيخ المربّي العارف بالله عبدالقادر الرأي فوري والداعية المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وكان هذا التعرف نقطة تحول في حياته، وبقيَ على الصلة بهما حتى وافاهما الأجل المحتوم، وتَلَقَّى التربية الروحية من الشيخ عبدالقادر الرأي فوري، واستفاد من صحبته ومجالسته، وتأَسَّى بالشيخ محمد إلياس الكاندهلوي في القيام بواجب الدعوة وإصلاح المجتمع، وقضى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية

والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها.

أسَّسَ مركزاً للعلوم الإسلامية، لتنظيم حلقات درس القرآن الكريم والسنة النبوية عام ١٩٤٣، وأسَّسَ حركة رسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس عام ١٩٥١م، والمجمع الإسلامي بدار العلوم - ندوة العلماء في لكهنؤ عام ١٩٥٩م.

عُيِّنَ أميناً عاماً لدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٦١، واستمر في هذا المنصب حتى توفاه الله تعالى.

شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام ١٩٦٠م، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤م، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢م.

دعِيَ أستاذاً زائراً إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق عام ١٩٥٦م، وألقى محاضرات بعنوان «التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي» نُشِرَتْ بعد ذلك في كتاب من أربع مجلدات باسم «رجال الفكر والدعوة في الإسلام».

شارك في تحرير مجلة «الضياء» العربية الصادرة من دار العلوم - ندوة العلماء عام ١٩٣٢، ومجلة «الندوة» الأوردية الصادرة منها - أيضاً - عام ١٩٤٠، وأصدرَ مجلة باسم «تعميرحيات» في الأوردية عام ١٩٤٨م، وكَتَبَ مقالات في الأدب والدعوة والفكر في أمهات المجلات العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ: «الرسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات، و«الفتح» للأستاذ محب الدين الخطيب، و«حضارة الإسلام» للدكتور مصطفى السباعي و«المسلمون» للدكتور سعيد رمضان المصري.

أشرف على إصدار جريدة «نداي ملّت» الأوردية عام ١٩٦٢م، كما تولى الإشراف على مجلة «البعث الإسلامي» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥م وجريدة «الرائد» العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩م، ومجلة «تعميرحيات» الأردوية الصادرة منذ عام ١٩٦٣م، وكلها تصدر من دار العلوم - ندوة العلماء في لكهنؤ، (الهند).

رحلاته:

سافر إلى الشرق والغرب مرات داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروأة وبالعمل الإيجابي البنَّاء في كل مجال، جوالاً للآفاق في سبيل الله، محاضراً، ومحدثاً، ومحاوراً، واعظاً وهادياً، ومشاركاً بالرأي والفكر في المجالس العلمية، والمجامع الجامعية والمؤسسات الإسلامية، والمؤتمرات والندوات فيها.

تقدير الشيخ وتكريمه:

وقد عرفت الجهات العلمية الرسمية والأهلية منزلة الشيخ أبي الحسن - رحمه الله - وأولته ما هو أهل له من التقدير والتكريم وتسابقت لاختياره رالإفادة من علمه وخبرته. وكان - رحمه الله - عند حسن الظن به، حيث بذل ولم يبخل، وظهر أثره في كل جهة شارك في العمل بها، على كثرتها وتعدد أوجه نشاطها. وفيما يلي نماذج منها:

- انتخبه مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً، لما اتصف به من العلم الجم، والبحث الدقيق.
- اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م.
- اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١م.
- اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠م، لمؤلَّفه القيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».
- منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١م.
- اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣م.
- اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق في عمّان (الأردن).

- اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤م.

- اختير عضواً للهيئة الاستشارية لمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية إحدى مجلات مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت في ديسمبر ١٩٨٨م واستمر حتى توفاه الله تعالى.

- أقيمت ندوة أدبية كبيرة حول حياته وجهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٩م في استانبول «تركيا».

- اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٩٩٩م لخدماته الجليلية ومآثره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية، وقَدَّمَ إليه الجائزة ولي العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم.

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع:

تولى – رحمه الله – الرئاسة والعضوية لعدة جامعات إسلامية ومجامع عربية ومنظمات دعوية ومراكز دينية في العالم الإسلامي وخارجه، إلى أن وافاه الأجل المحتوم. ومنها على سبيل المثال:

- الأمين العام لدار العلوم – ندوة العلماء (التي أخذت صفة العالمية منذ ترأس أمانتها، وتفَوَّقَت على معظم جامعات العالم التي تَهتَمّ بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية لأنَّها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع).

- رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض).

- رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند).

- رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند.

- رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش).

- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة.

كما تولّى - رحمه الله - الرئاسة والعضوية لكثير من الجامعات الإسلامية، والمراكز الدينية والمنظمات الدعوية ولجان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجه، رحمه الله وتغمده برحمته الواسعة.

جهوده في مجال الكتابة والتأليف:

أولى الشيخ - رحمه الله - جانب الكتابة والتأليف عناية كبيرة، لإيمانه بأهمية الكلمة وأثرها في حياة الأفراد والأمم. وتأثيرها في نشر الدعوة وصقل العقل المسلم الذي كان - ولا يزال - يتعرض لهجمات فكرية وثقافية خبيثة وماكرة. وكان لكتبه الأثر الحميد في تجلية الحقائق وإظهار محاسن الإسلام، ولفت نظر المسلمين إلى تلك المحاسن والمزايا والتي يجب أن يبذلوا وسعهم للمحافظة عليها، فضلاً عن الاعتزاز بها.

وقد نشر أول مقال له باللغة العربية في مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا في مصر، وذلك في عام ١٩٣١م حول شخصية السيد أحمد عرفان الشهيد، وكان عمر الشيخ - آنذاك - سبعة عشر عاماً.

ثم ظهر له أول كتاب بالأوردية عام ١٩٣٧ بعنوان (سيرة أحمد شهيد) وكان له قبول طيب في الأوساط العلمية والدينية في كل من الهند وباكستان، وتوالى فيض قلمه وفكره بعد ذلك متواصلاً من دون انقطاع إلى أن توفاه الله تعالى.

أشهر مؤلفاته:

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
١	مختارات في الأدب العربي (المدارس والجامعات).	١٢	النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.
٢	القراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء).	١٣	الصراع بين الإيمان والمادية.
٣	قصص النبيين للأطفال (خمسة أجزاء).	١٤	حديث مع الغرب.
٤	مذكرات سائح في الشرق العربي.	١٥	الأركان الأربعة.
٥	روائع إقبال.	١٦	المسلمون في الهند.
٦	الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.	١٧	إلى الإسلام من جديد.
٧	ربانية لا رهبانية.	١٨	الطريق إلى المدينة.
٨	إذا هبت ريح الإيمان.	١٩	تأملات في سورة الكهف.
٩	رجال الفكر والدعوة في الإسلام.	٢٠	العرب والإسلام.
١٠	القادياني والقاديانية.	٢١	ماذا خسر العا بانحطاط المسلمين.
١١	المسلمون وقضية فلسطين.	٢٢	السيرة النبوية.
		٢٣	نحو التربية الإسلامية الحرة في البلاد الإسلامية.
		٢٤	النبي الخاتم.

وهذه الكتب نشرت كلها بالعربية، وترجم معظمها إلى مختلف اللغات كالتركية، والإنجليزية، والفارسية.

على أن هناك عشرات من مؤلفاته الأخرى باللغة الأوردية، ومحاضرات عدة نشرت منفردة في كراسات تتداولها آلاف الأيدي، ولم نشر إليها في هذا الجدول.

وذكر السيد بدر الحسن القاسمي أن مؤلفات الشيخ أبي الحسن – رحمه الله – بلغ مجموع عناوينها [٧٠٠] عنواناً، منها: [١٧٧] عنواناً باللغة العربية، إلا أن معظمها عبارة عن رسائل دعوية وتوجيهية صغيرة، أو محاضرات مسجلة. وهي قوية الأسلوب، جيدة السبك، عظيمة الأثر، شديدة المفعول، وجميعها تدل على فهمه العميق للواقع من حوله، وعلى مقدرته

الفائقة على التعبير عما يجيش في خاطره من أفكار إيمانية، وما يكنه قلبه من عواطف متدفقة، مما كان له الأثر الطيب في نفوس القراء. أ.هـ.

أحبّ كتبه إليه:

كان - رحمه الله - يردد في مجالسه أن أحبّ هذه الكتب إليه هي: «الطريق إلى المدينة» و«النبوة والأنبياء في القرآن» و«الأركان الأربعة» و«الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية».

وآثرها - إطلاقاً - لديه هو: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

يقول الشيخ محمد المجذوب - رحمه الله -:

والحديث عن مؤلفات أبي الحسن لا تغني فيه الإشارة العجلى، بل يتطلب الوقوف على كل منها بكلمة تحليلية تكشف عن قيمته العلمية والأدبية، وما ينطوي عليه من خصائص ذلك القلب الحي.

لما صدرت الطبعة الأولى من كتاب «ماذا خسر العالم...» سمعت الأخ الأستاذ محمد المبارك يقول في وصفه: «إنه واحد من خير الكتب التي صدرت في هذا القرن».

وقرأت الكتاب في أناة محاولاً التحرر من إطراء الأستاذ المبارك إياه، لكنني لم أستطع ذلك، لأني لم أجد تعبيراً أكثر إنصافاً للكتاب من تلك الكلمة.

أهم الأحداث التي عاصرها:

يروي الشيخ محمد المجذوب - رحمه الله - في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» أن الشيخ الندوي - رحمه الله - كان يعتبر سقوط الخلافة الإسلامية على يد الطاغية اليهودي الأصل مصطفى كمال أتاتورك أكبر الأحداث التي عاصرها. وينقل عنه أنه كان يقول: «أعتقد أن سقوط الخلافة كان نقطة تحول في تاريخ الإسلام والمسلمين، وتحولاً لعجلة الحياة، إذ كان له الأثر العميق في خضوع العالم لحضارة الغرب».

وكان الشيخ أبو الحسن يتحدث عن بعض الفتن التي فجرتها - فيما

بعد – تلك الكارثة فيقول فيما يذكره عنه الشيخ محمد المجذوب:

«إن الحروب التي تلت هذه المأساة الإنسانية، وغزو الفكر الغربي للأمة الإسلامية، وجرأة الحاقدين عليها، إنما حصلت بسبب من رجحان كفة ميزان القوة، وانسحاب المسلمين من معترك الحياة. وقد امتدت هذه المؤامرة، التي اقتلعت جذور الوحدة المتأصلة في قلب العالم الإسلامي، إلى العهود الأخيرة.. وكان يوم احتلال اليهود القدس، وزحف القوات الصهيونية إلى الضفة الشرقية للقناة، أحلك يوم في حياتي. لقد تحققت المهزلة، وبلغت المؤامرة ذروتها. وقد بحثت ذلك في مؤلفاتي، وأوضحت الأسباب التي تمخضت عنها المأساة الإسلامية الكبرى بعد سقوط الخلافة، بإبعاد الإسلام ورابطته عن الحياة، والاستخفاف بقيمه ومظاهره، وقمع العاملين في سبيله. وإني أعد هذه الفترة من أحرج الفترات التي عشتها، كما فصلت ذلك في كتابي «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية»، و«المسلمون وقضية فلسطين» وقد دعمت هذه الأحداث إيماني بأن الإسلام لا بد أن يتولى الزمام لإنقاذ العرب والعالم، لأن الحل الوحيد لمأساة الإنسان يكمن في تحول قيادة العالم إلى أيد مؤمنة بقيم الإنسانية، أمة وسطاً لتكون شاهدة على الناس، كما يصفها كتاب الله».

عوامل بروزه وعالميته:

أسهمت عوامل كثيرة في بروز الشيخ – رحمه الله – داعية متفرداً، ذا أسلوب متميز ومؤثر. من أبرزها:

- تكوينه العلمي المتين،الذي جمع بين القديم والحديث فهو المبرّز في علوم القرآن والحديث، والسيرة والتاريخ، وعلم الاجتماع، والتربية، واللغة العربية. كل ذلك مع التفكير العميق والحدس الشفاف والنظرة الفاحصة.

- نشأته في بيئة علمية أصيلة، خاصة وعامة. فوالده طبيب متمرس، وعالم فاضل، وهو صاحب نزهة الخواطر في تراجم رجال الهند وعلمائها. ووالدته كانت من النساء الفضليات، تحفظ القرآن، وتقرض

الشعر. كما نشأ في رحاب ندوة العلماء ودار علومها.

- إجادته للغة العربية، وامتلاكه ناصية البيان والتعبير بها، إلى جانب إتقانه اللغة الإنجليزية والأوردية والفارسية.
- وجود حركة إسلامية قوية وصحوة إسلامية عارمة في المشرق العربي تنسجم مع أفكاره، وتتحمس لنشر ما يدعو إليه.
- اهتمامه بكتاباته حفظا ونشراً وتوزيعاً.
- حرصه على إقامة العلاقات المتينة مع الشخصيات الإسلامية البارزة في العالم العربي.
- عنايته بترجمة كتبه ومؤلفاته إلى الإنجليزية والأوردية والعربية.
- ابتعاده عن قبول الوظائف والمحافظة على حريته المطلقة وتفرغه التام للدعوة والتربية والكتابة والتأليف.
- عنايته بالقضايا السياسية والدينية الحساسة للإدلاء بآرائه عنها.
- تمسكه الشديد بمظهره وملبسه المتواضع، ما يدل على زهده واستغنائه عما في أيدي الناس.
- اهتمامه الشديد بالجانب الدعوي: فلقد أخذ هذا الجانب من حياته بعداً واسعاً في الدائرة الإسلامية والعالمية. يشهد كل من يعرفه أن الدعوة كانت هي حياته وهمه الأول. لا يفتر عن نشرها وتبليغها وبيان محاسنها في حضر ولا سفر. لا يفرق بين صغير وكبير، ولا بين مسلم وغير مسلم. ولقد كان يخصص جزءاً غير يسير من وقته لدعوة غير المسلمين. فيلتقيهم ويتحدث إليهم بأسلوب المفكر المصلح، داعياً إياهم باسم الإنسانية إلى محاربة الشرور والمفاسد، واستنكار كل خطر يهدد المجتمع.
- عنايته بالجانب التربوي: فلقد أولى هذا الجانب عناية بالغة. فكتب فيه وحاضر، ونشر الكتب. وأبرز جوانب الأسوة في المربي الأعظم - ﷺ - ثم في صحبه الكرام - رضي الله عنهم - وكان يعطي من نفسه -

في ذلك - المثل العملي والتطبيق الفعلي للسلوك التربوي الرفيع. يتمثل ذلك بسمو خلقه، وصدق حديثه، وبعده عن الخصومات، والترفع عن الدنيا، والزهد عما في أيدي الناس.

هذه الأمور وغيرها - مما هو على شاكلتها - أثرت تأثيراً قوياً في جعل الشيخ - رحمه الله تعالى - داعية من الطراز الرفيع، ومدرسة نموذجية يترسم الكبار خطاها، ويسير طلاب المعرفة والحقيقة على هداها، وكل يجد فيها ضالته، ويفيد منها ما يعينه على أداء واجبه، وخدمة دينه، وتبليغ رسالته.

ما يميزه عن معاصريه من الدعاة:

لم يكن الشيخ الندوي - رحمه الله - محدثاً أو مفسراً، أو فقيهاً بالمعنى الاصطلاحي المعروف، كما كان كثير من معاصريه، لا سيما في شبه القارة الهندية، إلا أنه كان داعية جليلاً، وأديباً بارعاً، ومؤرخاً دقيق النظر في أدواء الأمم والشعوب، ذا اطلاع واسع على الثقافة المعاصرة، وعلى أسباب رقي وتقدم الأمم وعلل انحطاطها وزوالها، عظيم المقدرة على البيان والتأليف.

كما كان مفكراً عظيماً، اطلع على الأنظمة الوضعية والإيديولوجيات المعاصرة من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية وسبر أغوارها وعرف ما فيها من ضعف وسقم وكان حريصاً أن يدعو إلى الإسلام كبديل للإنسانية، كما أنه كان قوي الإيمان، ثابت الجنان، واضح البيان، فيما يدعو إليه من أفكار وآراء وبإصرار شديد، وحريص وغير متناه.

كان على صلة برموز الحركة الإسلامية في العالم العربي، متعاوناً معهم، متأثرا بمنهج الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ في الدعوة، كثير الإشادة بكل من الإمام حسن البنا، والشيخ الكاندهلوي في النزاهة والإخلاص والحرقة للدعوة والغيرة على الدين.

كما يتميز الشيخ الندوي عن بعض معاصريه في ثقته بالتاريخ

الإسلامي المجيد واستفادته من رموز التجديد في مختلف العصور من غير توجيه انتقاد أو محاولة تحطيم أحد منهم، متأدباً مع رجال التاريخ، يتجلى ذلك في كتابه الرائع «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» وكثير من مؤلفاته.

ومما يميز الندوي عن أقرانه من الدعاة الأعلام: أنه يركز على التربية الروحية أكثر من الأمور التنظيمية والإدارية، وظل طوال حياته رابطاً نفسه مع المربين الكبار، وبين ذلك في كتابه «ربانية لا رهبانية» وكان على قناعة تامة أن تنشئة الإنسان السوي المستقيم لا يكفي فيها التحريكات والتنظيمات من دون الاهتمام بتربية الروح وتزكية النفس.

وفيما يتعلق بتغيير الأوضاع القائمة كانت فلسفته مبنية على النصح والإرشاد بدل الاصطدام والوقوف بالمرصاد. وكان يقول دائماً: إن هدفنا هو إيصال الإيمان إلى أهل الكراسي، لا تخويفهم أو إزاحتهم عن الكراسي.

فقه الدعوة عند الشيخ – رحمه الله –:

يعتبر الشيخ أبو الحسن أحد أعلام الدعاة إلى الإسلام في عصرنا بلا ريب ولا جدال، عبَّرت عن ذلك: كتبه ورسائله ومحاضراته التي شرقت وغربت، وقرأها العرب والعجم، وانتفع بها الخاص والعام.

كما أنبأت عن ذلك: رحلاته وأنشطته المتعددة المتنوعة في مختلف المجالس والمؤسسات، وبعض كتبه قد رزقها الله القبول، فطبعت مثنى وثلاث ورباع، وأكثر من ذلك، وترجمت إلى لغات عدة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

مواهب وأدوات الداعية

والحق أن الشيخ – رحمه الله – قد آتاه الله من المواهب والقدرات، ومنحه من المؤهلات والأدوات ما يمكنه من احتلال هذه المكانة الرفيعة في عالم الدعوة والدعاة. ومن ذلك:

- **العقل والحكمة:**

فقد آتاه الله: العقل والحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، والحكمة أولى وسائل الداعية إلى الله تعالى، كما قال – عز وجل –: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥).

ولهذا نجده يقول الكلمة الملائمة في موضعها الملائم، وفي زمانها الملائم، يشتد حيث تلزم الشدة، حتى يكون كالسيل المتدفق، ويلين حيث ينبغي اللين، حتى يكون كالماء المغدق، وهذا ما عرف به منذ شبابه الباكر إلى يوم وفاته.

- **الثقافة الواسعة:**

وآتاه الله: الثقافة التي هي زاد الداعية الضروري في إبلاغ رسالته، وسلاحه الأساسي في مواجهة خصومه، وقد تزوَّد الشيخ بالثقافة الدينية، واللغوية، والتاريخية، والإنسانية، والعلمية، والواقعية، بل إن له قدماً راسخة وتبريزاً واضحاً في بعض هذه الثقافات، مثل الثقافة التاريخية، كما برز ذلك في أول كتاب دخل به ميدان التصنيف، وهو الكتاب الذي كان رسوله الأول إلى العالم العربي قبل أن يزوره ويتعرف عليه، وهو كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» الذي نفع الله به الكثيرين من الكبار والصغار، ولم يكد يوجد داعية إلا واستفاد منه.

- **المَلَكَة الأدبية:**

وآتاه الله: البيان الناصع والأدب الرفيع، كما يشهد بذلك كل من قرأ كتبه ورسائله، وكان له ذوق وحس أدبي، فقد نشأ وتربى في حجر لغة العرب وأدبها منذ نعومة أظفاره، وألهم الله شقيقه الأكبر أن يوجهه هذه الوجهة في وقت لم يكن يعنى أحد بهذا الأمر، لحكمة يعملها الله تعالى، ليكون همزة وصل بين القارة الهندية وأمة العرب، ليخاطبهم بلسانهم، فيفصح كما يفصحون، ويبدع كما يبدعون، بل قد يفوق بعض العرب الناشئين في قلب بلاد العرب.

وكان يحفظ الكثير من شعر إقبال، وقد ترجم روائع منه إلى اللغة العربية، وصاغه نثراً هو أقرب إلى الشعر الرفيع.

- القلب الحي، والعاطفة الجياشة بالحب لله العظيم، ولرسوله الكريم، ولدينه القويم: فهو يحمل بين جنبيه نبعاً لا يغيض، وشعلة لا تخبو، وجمرة لا تتحول إلى رماد.

ولا بد للداعية إلى الله أن يحمل مثل هذا القلب الحي، ومثل هذه العاطفة الدافقة بالحب والحنان والدفء والحرارة، يفيض منها على من حوله، فيحركهم من سكون، ويوقظهم من سبات، ويحييهم من موات.

وكلام أصحاب القلوب الحية له تأثير عظيم في سامعيه وقارئيه، فإن الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان، ولهذا كان تأثير الحسن البصري في كل من يشهد درسه وحلقته، على خلاف حلقات الآخرين، ولهذا قيل: ليست النائحة كالثكلى!

- الخلق الكريم:

وآتاه الله: الخلق الكريم والسلوك القويم، وقد قال بعض السلف: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف! وعلق على ذلك الإمام ابن القيم في «مدارجه» فقال: بل الدين كله هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين. ولا غرو أن أثنى الله على رسوله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وأن أعلن الرسول الكريم عن غاية رسالته، فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ومن عاشر الشيخ - ولو قليلاً - لمس فيه هذا الخلق الرضي، ووجده مثالاً مجسداً لما يدعو إليه، فسلوكه مرآة لدعوته، وهو رجل باطنه كظاهره، وسريرته كعلانيته، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكيه على الله - عز وجل -.

- العقيدة السليمة:

وآتاه الله قبل ذلك كله: العقيدة السلمية: عقيدة أهل السنة والجماعة، سليمة من الشركيات والقبوريات والأباطيل، التي انتشرت في الهند، وكان لها

سوق نافقة، وجماعات مروجة تغدو بها وتروح، تأثروا بالهندوس وأباطيلهم، كما هو الحال عند جماعة «البريلويين» الذين انتسبوا إلى التصوف اسماً ورسماً، والتصوف الحق براء منهم، وقد حفلت عقائدهم بالخرافات، وعباداتهم بالمبتدعات، وأفكارهم بالترهات، وأخلاقهم بالسلبيات. ولكن الشيخ تربى على عقائد مدرسة «ديوبند» التي قام عليها منذ نشأتها علماء ربانيون، طاردوا الشرك بالتوحيد، والأباطيل بالحقائق، والبدع بالسنن، والسلبيات بالإيجابيات. وأكدت ذلك مدرسة الندوة - ندوة العلماء - وأضافت إليها روحاً جديدة، وسلفية حية حقيقية، لا سلفية شكلية جدلية، كالتي نراها عند بعض من ينسبون إلى السلف، ويكادون يحصرون السلفية في بعض المظاهر الشكلية، وشن الحرب على تأويل نصوص الصفات. إن العقيدة السلفية عند الشيخ هي: توحيد خالص لله - تعالى - لا يشوبه شرك، ويقين عميق بالآخرة لا يعتريه شك، وإيمان جازم بالنبوة لا يداخله تردد ولا وهم، وثقة مطلقة بالقرآن والسنة، مصدرين للعقائد والشرائع والأخلاق والسلوك.

وإذا كان هذا هو فقه الدعوة ومواهب وأدوات الداعية التي وفق إليها الشيخ - رحمه الله تعالى - كما ذكرها الدكتور القرضاوي ونقلناها بشيء من التصرف - فإن فقه الدعوة - مع هذه الأدوات - كان يرتكز على ركائز قوية ومتينة، يلمسها دارس سيرة الشيخ وكتبه. وقد عدها الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي - حفظه الله - وحصرها في عشرين ركيزة، على النحو التالي:

١ - تعميق الإيمان في مواجهة المادية:

أولى هذه الركائز: تعميق الإيمان بالله - تعالى -. وتوحيده سبحانه: ربا خالقاً، وإلهاً معبوداً، واليقين بالآخرة، داراً للجزاء، ثواباً وعقاباً، في مواجهة المادية الطاغية، التي تجحد أن للكون إلهاً يدبره ويحكمه، وأن في الإنسان روحاً هي نفحة من الله، وأن وراء هذه الدنيا آخرة. المادية التي تقول: إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع! ولا شيء بعد ذلك. أو كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام:

٢٩) وقد تخللت هذه الركيزة الفكرية المحورية معظم رسائله وكتبه؛ وخصوصاً: الصراع بين الإيمان والمادية.. ماذا خسر العالم... الصراع بين الفكر الإسلامي والفكرة الغربية.

٢ – إعلاء الوحي على العقل:

وثانية هذه الركائز: اعتبار أن الوحي هو المصدر المعصوم، الذي تؤخذ منه حقائق الدين وأحكامه، من العقائد والشرائع والأخلاق، واعتبار نور النبوة فوق نور العقل، فلا أمان للعقل من العثار إذا سار في هذا الطريق وحده، ولا أمان للفلسفات المختلفة في الوصول إلى تصور صحيح عن الألوهية والكون والإنسان والحياة، حتى الفلسفة الدينية أو علم الكلام حين خاضا هذه اللجة غرقا فيها. فالوحي عاصم للعقل من الخطأ والزلل، وقد بين ذلك الشيخ الندوي في عدد من كتبه، منها: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم.

٣ – توثيق الصلة بالقرآن الكريم:

والركيزة الثالثة: هي توثيق الصلة بالقرآن، باعتباره كتاب الخلود، ودستور الإسلام وعمدة الملة، وينبوع العقيدة، وأساس الشريعة، وهو يوجب اتباع القواعد المقررة في تفسيره، وعدم الإلحاد في آيه، وتأويلها وفق الأهواء والمذاهب المنحولة، ولهذا أنكر على القاديانيين هذا التحريف في فهم القرآن.

٤ – توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية:

والركيزة الرابعة: هي توثيق الصلة بالسنة والحديث الشريف، والسيرة النبوية العاطرة باعتبار السنة مبينة القرآن وشارحته نظرياً، وباعتبار السيرة هي التطبيق العملي للقرآن، وفيها يتجلى القرآن مجسداً في بشر كان خلقه القرآن، وتتجلى الأسوة الحسنة التي نصبها الله للناس عامة، وللمؤمنين خاصة، لهذا كان من المهم العيش في رحاب هذه السيرة، والاهتداء بهديها والتخلق بأخلاقها، لا مجرد الحديث عنها، باللسان أو بالقلم.

وقد بين الشيخ أثر الحديث في الحياة الإسلامية، كما أبدع في كتابة السيرة وكانت فائدته للكبار وللأطفال على السواء.

٥ - إشعال الجذوة الروحية (الربانية الإيجابية):

والركيزة الخامسة: هي إشعال الجذوة الروحية في حنايا المسلم، وإعلاء «نفخة الروح» على قبضة الطين والحمأ المسنون في كيانه، وإبراز هذا الجانب الأساسي في الحياة الإسلامية التي سماها الشيخ «ربانية لا رهبانية» وهو عنوان لأحد كتبه الشهيرة.

٦ - البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق:

والركيزة السادسة: أن الشيخ الندوي جعل همه في البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق وهو - هنا - يشبه الإمام حسن البنا - رحمه الله - الذي كان حريصاً على هذا الاتجاه الذي شعاره: نبني ولا نهدم، ونجمع ولا نفرق، ونقرّب ولا نباعد، ولهذا تبنى قاعدة المنار الذهبية: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه» فالشيخ الندوي - رحمه الله - يبعد - ما استطاع - عن الأساليب الحادة، والعبارات الجارحة، والموضوعات المفرقة، ولا يقيم معارك حول المسائل الجزئية، والقضايا الخلافية.

ولا يعني هذا: أنه يداهن في دينه، أو يسكت عن باطل يراه أو خطأ جسيم يشاهده، بل هو ينطق بما يعتقده من حق، وينقد ما يراه من باطل أو خطأ، لكن بالتي هي أحسن، ولم يجامل أحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه مثل الشيخ المودودي والشهيد سيد قطب رحمهما الله.

٧ - إحياء روح الجهاد في سبيل الله:

والركيزة السابعة: هي إحياء روح الجهاد في سبيل الله، وتعبئة قوى الأمة النفسية للدفاع عن ذاتيتها ووجودها، وإيقاد شعلة الحماسة للدين في صدور الأمة، التي حاولت القوى المعادية للإسلام إخمادها، ومقاومة روح البطالة والقعود والوهن النفسي، الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت. وهذا واضح في كتابه «ماذا خسر العالم» وفي كتابه «إذا هبت ريح الإيمان» وفي

حديثه الدافق المعبر عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجماعته ودعوته، وعن صلاح الدين الأيوبي وأمثاله من أبطال الإسلام.

٨ - استيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته:

والركيزة الثامنة: استيحاء التاريخ - ولا سيما تاريخنا الإسلامي - لاستنهاض الأمة من كبوتها، فالتاريخ هو ذاكرة الأمة، ومخزن عبرها، ومستودع بطولاتها. والشيخ يملك حساً تاريخياً فريداً، ووعياً نادراً بأحداثه، والدروس المستفادة منها، كما تجلى ذلك في رسالته المبكرة «المد والجزر في تاريخ الإسلام» وفي كتابه: «ماذا خسر العالم» وفي غيره، والتاريخ عنده ليس هو تاريخ الملوك والأمراء وحدهم، بل تاريخ الشعوب والعلماء والمصلحين والربانيين. ليس هو التاريخ السياسي فقط، بل السياسي والاجتماعي والثقافي والإيماني والجهادي.

٩ - نقد الفكرة الغربية والحضارة المادية:

والركيزة التاسعة: هي نقد الجاهلية الحديثة، المتمثلة في الفكرة الغربية، والحضارة المادية المعاصرة، ورؤيته - هنا - واضحة كل الوضوح لحقيقة الحضارة الغربية وخصائصها، واستمدادها من الحضارتين: الرومانية واليونانية، وما فيهما من غلبة الوثنية، والنزعة المادية الحسية، والعصبية القومية، وهو واع تماماً للصراع القائم بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية وخصوصاً في ميادين التعليم والتربية والثقافة والقيم والتقاليد. وقد أنكر الشيخ موقف الفريق المستسلم للغرب، المقلد له تقليداً أعمى في الخير والشر، وكذلك موقف الفريق الرافض للغرب كله، المعتزل لحضارته بمادياتها ومعنوياتها.. ونوه الشيخ بموقف الفريق الثالث، الذي لا يعتبر الغرب خيراً محضاً، ولا شراً محضاً. فيأخذ من الغرب وسائله لا غاياته، وآلياته لا منهج حياته، فهو ينتخب من حضارته ما يلائم عقائده وقيمه، ويرفض ما لا يلائمه.

١٠ - نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية:

والركيزة العاشرة: نقد ما شاع في العالم العربي والإسلامي كله، من

التنادي بفكرة «القومية» القائمة على إحياء العصبيات الجاهلية، بعد ما أكرم الله به هذه الأمة من الأخوة الإسلامية، والإيمان بالعالمية، والبراءة من كل من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية أو مات على عصبية، وأشد ما آلمه: أن تتغلغل هذه الفكرة بين العرب الذين هم عصبة الإسلام، وحملة رسالته، وحفظة كتابه، وسنته، وهو واحد منهم نسباً وفكراً وروحاً.

لذا وقف في وجه «القومية العربية» العلمانية المعادية للإسلام، المفرقة بين المسلمين، والتي اعتبرها بعضهم «نبوة جديدة» تجمع العرب على معتقدات ومفاهيم وقيم غير ما جاء به محمد ﷺ الذي هدى الله به أمة العرب، وجمعهم به من فرقة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور. وهو رغم رفضه للقومية، لا ينكر فضل العرب ودورهم وريادتهم.

١١ - تأكيد عقيدة ختم النبوة ومقاومة الفتنة القاديانية:

والركيزة الحادية عشرة: هي تأكيد «عقيدة ختم النبوة» وهي عقيدة معلومة من الدين بالضرورة لدى المسلمين طوال القرون الماضية، ولم يثر حولها أي شك أو شبهة، وإنما أوجب تأكيد هذه العقيدة: ظهور الطائفة القاديانية بفتنتهم الجديدة التي اعتبرها الشيخ ثورة على النبوة المحمدية.

١٢ - مقاومة الردة الفكرية:

والركيزة الثانية عشرة: هي مقاومة الردة الفكرية التي تفاقم خطرها بين العرب والمسلمين عامة، والمثقفين منهم خاصة. فكما قاوم الشيخ الردة الدينية التي تمثلت في القاديانية، التي أصر علماء المسلمين كافة في باكستان على اعتبارهم أقلية غير مسلمة، لم يأل جهداً في محاربة هذه الردة العقلية والثقافية. ولا غرو أن جند قلمه ولسانه وعلمه وجهده في كشف زيفها، ووقف زحفها، ومطاردة فلولها، وقد ألف فيها رسالته البديعة الشهيرة «ردة ولا أبا بكر لها!».

١٣ - تأكيد دور الأمة المسلمة واستمراره في التاريخ:

والركيزة الثالثة عشرة: هي تأكيد دور الأمة المسلمة في هداية البشرية،

والشهادة على الأمم، والقيام على عبادة الله وتوحيده في الأرض، كما أشار إلى ذلك الرسول يوم بدر «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض». وهذه الأمة صاحبة رسالة شاملة، وحضارة متكاملة، مزجت المادة بالروح، ووصلت الأرض بالسماء، وربطت الدنيا بالآخرة، وجمعت بين العلم والإيمان، ووفقت بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع، وهذه الأمة موقعها موقع القيادة والريادة للقافلة البشرية، وقد انتفعت منها البشرية يوم كانت الأمة الأولى في العالم.. ثم تخلفت عن الركب لعوامل شتى، فخسر العالم كثيراً بتخلفها، وهو ما عالجه كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟».

١٤ - بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين:

والركيزة الرابعة عشر: هي بيان فضل الجيل المثالي الأول في هذه الأمة، وهو جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - أبرّ الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلّهم تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، وأنزل عليهم ملائكته في بدر والخندق وحنين، وهم الذين أثنى عليهم الله - تعالى - في كتابه في عدد من سوره، وأثنى عليهم رسوله في عدد من أحاديثه المستفيضة، وأكد ذلك تاريخهم وسيرتهم ومآثرهم، فهم الذين حفظوا القرآن، والذين رووا السنّة، والذين فتحوا الفتوح، ونشروا الإسلام في الأمم، وهم تلاميذ المدرسة المحمدية، وثمار غرس التربية النبوية. وهم أولى من ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣) وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠). وهم طليعة الأمة وأسوتها في العلم والعمل، وأئمتها في الجهاد والاجتهاد، وتلاميذهم من التابعين على قدمهم، وإن لم يبلغوا مبلغهم، «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» فمن شكك في عظمة هذا الجيل وفي أخلاقه ومواقفه، فقد شكك في قيمة التربية المحمدية.

١٥ - التنويه بقضية فلسطين وتحريرها:

والركيزة الخامسة عشر: هي التنويه بقضية فلسطين، فقضية فلطسين

ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا العرب وحدهم، بل هي قضية المسلمين جميعا، فلا بد من إيقاظ الأمة لخطرها، وتنبيهها على ضرورة التكاتف لتحريرها، واتخاذ الأسباب، ومراعاة السنن المطلوبة لاستعادتها. وليست هذه أول مرة تحتل فلسطين من قبل أعداء الدين والأمة، فقد احتلت أيام الحروب الصليبية نحو مائة عام، وأسر المسجد الأقصى تسعين سنة كاملة، حتى هيأ الله لهذه الأمة رجالاً أفذاذاً، جددوا شباب الأمة بالإيمان، وإحياء روح الكفاح ومعنى الجهاد في سبيل الله، مثل: نور الدين وصلاح الدين، الذي أشاد به الشيخ الندوي كثيراً في كتبه ورسائله.

ولا سبيل إلى تحرير فلسطين إلا بهذا الطريق، وعلى نفس هذا المنهاج: تجميع الأمة على الإسلام، وتجديد روحها بالإيمان، وتربية رجالها على الجهاد.

١٦ - العناية بالتربية الإسلامية الحرة:

والركيزة السادسة عشرة: هي العناية بالتربية الإسلامية الحرة التي لا تستمد فلسفتها من الغرب ولا من الشرق، إنما تستمد فلسفتها من الإسلام: عقيدة وشريعة وقيماً وأخلاقاً، في حين تقتبس وسائلها وآلياتها من حيث شاءت، في إطار أصولها المرعية، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. وهو ينكر على التعليم القديم طرائقه في العناية بالألفاظ والجدليات، كما ينكر على التعليم الحديث إغفاله للروح وأهداف الحياة، وينقل عن إقبال قوله: إن التعليم الحديث لا يعلم عين الطالب الدموع، ولا قلبه الخشوع!

ولقد أولى شيخنا جانب التربية اهتماماً بالغاً، لأنها هي التي تصنع أجيال المستقبل، والتهاون فيها تهاون في الثورة البشرية للأمة، وقد نقل الشيخ عن بعض شعراء الهند: أن فرعون كان يكفيه عن تذبيح بني إسرائيل: أن ينشئ لهم كلية يكيف عقولهم فيها كما يريد، ولكنه كان غبياً.

كتب الشيخ في ذلك رسائل، أبرزها: التربية الإسلامية الحرة، كما ناقش كثيراً من قضايا التربية في كتابه: «كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب؟». كما شارك الشيخ بنفسه في هذا المجال علماً وعملاً.

١٧ - العناية بالطفولة والنشء:

والركيزة السابعة عشرة: هي (العناية بالطفولة، والكتابة للأطفال والناشئين) بوصفهم رجال الغد، وصناع تاريخ الأمم. وقد التفت الشيخ إلى هذا الأمر الخطير، وهو في الثلاثينات من عمره، وكتب مجموعة من قصص النبيين للأطفال، في لغة سهلة، وأسلوب عذب، وطريقة شائقة، مضمناً إياها ما يحب من المعاني والقيم، ومن الدروس والعبر، ومن العقائد والمثل، حتى قال بعض العلماء: هذا «علم توحيد» جديد للأطفال، وأثنى عليها أديب كبير كالشهيد سيد قطب - رحمه الله -. وبعد ثلاثين سنة أو أكثر عاد فأكمل قصص الأنبياء، وختمها بسيرة خاتم النبيين ﷺ، كما أنشأ مجموعة «قصص من التاريخ الإسلامي» للأطفال أيضاً، وقال: إنه يرجو أن ينال بهذه الخطوة تقدير رجال التربية، وأن تليها خطوات، وتؤلف مجموعات.

١٨ - إعداد العلماء والدعاة الربانيين المعاصرين:

والركيزة الثامنة عشرة: هي العمل الدؤوب لإعداد العلماء والدعاة الربانيين، الذين يجمعون بين المعرفة الإسلامية، والرؤية العصرية، مع الغيرة الإيمانية والأخلاق الربانية، وهذا ما اجتهد الشيخ في أن يسهم فيه بنفسه عن طريق التدريس في «دار العلوم» ثم عن طريق تطوير المناهج، وعن طريق وضع المقررات والكتب الدراسية، ثم عن طريق الاشتراك في مجالس الجامعات والمؤسسات التعليمية في الهند، وفي غيرها، وهو يرى أن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى الداعية البصير، والعالم المتمكن، الذي إذا استقضى قضى بحق، وإذا استفتى أفتى على بينة، وإذا دعا إلى الله دعا على بصيرة.

١٩ - ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية:

والركيزة التاسعة عشرة: هي ترشيد الصحوة الإسلامية، التي يشهدها العالم الإسلامي، بل يشهدها المسلمون في كل مكان، حتى خارج العالم الإسلامي، حيث توجد الأقليات والجاليات الإسلامية في أوروبا والأمريكتين والشرق الأقصى وغيرها. وهي صحوة عقول وقلوب وعزائم، ولكن يُخشى على الصحوة من نفسها أكثر من غيرها. فتتآكل من الداخل، قبل أن تضرب من الخارج.

وأعظم ما يُخشى على الصحوة: الغلو والتشديد في غير موضعه، والتمسك بالقشور وترك اللباب، والاشتغال الزائد بالجزئيات والخلافيات، وسوء الظن بالمسلمين إلى حد التأثيم والتضليل، بل التكفير. والشيخ بطبيعته رجل معتدل في تفكيره، وفي سلوكه وفي حياته كلها: فهو قديم جديد، وهو تراثي وعصري، وهو سلفي وصوفي، ثابت ومتطور، في لين الحرير وصلابة الحديد. وهكذا يريد لجيل الصحوة أن يكون.

لم يقيد الشيخ الندوي نفسه بالالتزام بجماعة معينة، فقد بقي حراً، يشرف على الجماعات من خارجها، فيرى من نواقصها ما لا يراه أعضاؤها، ويبصر نقاط ضعفها، فيوجه وينصح، وينقد ويسدد، ولعل في ذلك خيراً.

٢٠ - دعوة غير المسلمين:

وآخر هذه الركائز وهي المكملة للعشرين: دعوة غير المسلمين للإسلام، استكمالاً لما قامت به الأمة في العصور الأولى، وقد ساهم الشيخ في ذلك منذ عهد مبكر - وهو ابن الثانية والعشرين - بدعوة الدكتور أمبيدكر - زعيم المنبوذين - إلى الإسلام، ورحل إليه في بومباي.

وهو يرى أن فضل الأمة الإسلامية على غيرها في قيامها بواجب الدعوة إلى الله، وأن البشرية اليوم - رغم بلوغها ما بلغت من العلم المادي والتطور التكنولوجي - أحوج ما تكون إلى رسالة الإسلام، حاجة الظمآن إلى الماء، والسقيم إلى الشفاء، والأمة الإسلامية هي وحدها التي تملك قارورة الدواء، ومضخة الإطفاء.

تلك هي الركائز العشرون، التي قام عليها فقه الدعوة عند الإمام الندوي، وكل ركيزة منها تحتاج إلى شرح وتفصيل. انتهى كلام الشيخ القرضاوي بتصرف يسير.

ثناء العلماء على الشيخ الندوي:

لقد عرف أهل الفضل للشيخ الندوي - رحمه الله تعالى - فضله ومكانته فكثر إطراؤهم له، وثناؤهم عليه. وبيان محامده والنصح بقراءة ما يكتب وينشر. ونورد طرفاً مما ما ذكر عنه - رحمه الله -.

قال الشيخ سعيد الأعظمي الندوي:

«ليس من سعادة الهند أو ندوة العلماء فحسب أن يوجد فيها مثل هذا الرجل العظيم المخلص المؤمن، بل إن وجوده سعادة لتاريخ العلم والثقافة والتعليم والتربية، وصفحة ناصعة في سيرة العلماء الأعلام والدعاة العظام. وإن العالم المعاصر لفي أمسّ الحاجة إلى أمثاله، حتى يتبين هداه في مسيرة العلم والمدنية، ويعين خطاه في زحمة الصراعات والاتجاها التي تموج بها المجتمعات الإنسانية اليوم».

ويقول شيخ الأزهر عبدالحليم محمود - رحمه الله -: أخلص الشيخ أبو الحسن وجهه لله، وسار في حياته، ودعا إلى الإسلام بكتبه النقية، ودعا إلى الإسلام بسياحاته التي حاضر فيها ووجَّه وأرشد، فجزاه الله خير ما يجزي عالماً عن دينه.

أما الشيخ علي الطنطاوي فيذكر لنا بما أجاب من سأله عن أقرب الأماكن إلى قلبه؟

- يقول الشيخ علي الطنطاوي: كنت في مقابلة إذاعية فسألني المذيع أي الأماكن أقرب إلى قلبك؟ وأيها يشتمل على أحلى ذكرياتك؟ وكان في ظنه أن أقول له: دمشق. ولكنه فوجئ ودهش لما قلت: ندوة العلماء في لكنو، فقال: وأين لكنو؟ قلت: هي مدينة أبي الحسن الندوي. ثم يعلق الشيخ الطنطاوي - رحمه الله - أي والله يا أبا الحسن، أنت أشهر في العالم العربي منها، حتى إنها لتعرف بك.

ويقول الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - في تقديمه لكتاب الطريق إلى المدينة: يا أخي الأستاذ أبا الحسن، لقد كدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية، التي غني بها الشعراء - من لدن الشريف الرضي إلى البرعي - فلما قرأت كتابك وجدته في نثر هو الشعر إلا أنه بغير نظام.

ويروي الشيخ القرضاوي عن الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله -

قوله في ندوة العلماء وجامعتها دار العلوم: «كم أتمنى لو رجعت إلى عهد الصبا، فأعود لأتعلم في هذا الدار، وأتتلمذ على شيوخها، وأرافق طلابها، وأتنفس في رحابها، وأقتبس منها العلم والإيمان».

ويثني الشيخ علي الطنطاوي على طريقة التعليم التي اتخذها الشيخ أبو الحسن أسلوباً في الدعوة إلى الله تعالى فيقول:

«يا أخي أبا الحسن، اثبت أنت وجماعتك على ما أنتم عليه، فإني لا أعرف اليوم في أساليب الدعاة من هو أصح منكم أسلوباً، وإذا كان من بنى حصناً أو قاد جيشاً عدّ من العظماء، فأبو الحسن بنى للإسلام في نفوس تلاميذه حصوناً أقوى وأمتن من حصون الحجر، بنى أمة من العلماء الصالحين والدعاة المخلصين». ويبين مكانته في الدعوة الإسلامية فيقول: وعرفت رجالاً من أعيان الدعاة إلى الله، ومن أكابرهم كما عرفت أبا الحسن وإن ما يميزه عن أقرانه أنه قد جمع العلم والأدب، مع الحسب والنسب، تلك الغاية التي لا غاية بعدها.

أما الشهيد سيد قطب فقد كان معجباً بالشيخ وكتبه إعجاباً شديداً وكتب مقدمة إضافية لكتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وشهد له أنه كاتب قصة من الطراز الرفيع فلنستمع إليه وهو يذكر رأيه فيما كتبه أبو الحسن عن قصة سيدنا موسى عليه السلام:

«لكني أشهد – في غير مجاملة – أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي – قصة موسى – جاء أكمل من هذا كله «يعني قصصه الأخرى» بما احتوى من توجيهات دقيقة وإيضاحات كاشفة لمرمى القصة وحوادثها ومواقفها...»، «عرفت صاحب هذا الكتيب السيد أبو الحسن الندوي، عرفته في شخصه، وفي قلمه فعرفت فيه القلب المسلم والعقل المسلم، وعرفت فيه الرجل الذي يعيش بالإسلام وللإسلام، وعلى فقه جيد للإسلام.. هذه شهادة لله أؤديها».

ويقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله –: هذا الإسلام لا يخدمه إلا

نفس شاعرة محلقة، أما النفوس البليدة المطموسة فلا حظ لها فيه! لقد وجدنا في رسائل الشيخ الندوي لغة جديدة، وروحا جديدة، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها. إن رسائل الشيخ هي التي لفتت النظر إلى موقف ربعي بن عامر – رضي الله عنه – بين رستم قائد الفرس وكلماته البليغة له التي لخصت فلسفة الإسلام في كلمات قلائل، وعبرت عن أهدافه بوضوح بليغ، وإيجاز رائع: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. أبو الحسن الندوي – في ما أعلم – هو أول من نبهنا إلى قيمة هذا الموقف، وهذه الكلمات، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك وانتشرت.

ويذكر الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله: أن الشيخ الغزالي – رحمه الله – تأثر كثيراً عندما قرأ بعض رسائل الشيخ الندوي وخاصة رسالته (من العالم إلى جزيرة العرب) وعلق على ذلك بقوله: هذا الدين لا يخدمه إلا نفس شاعرة. لقد كانت هذه الرسائل نثراً، فيه روح الشعر وعبقه.

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى – رحمه الله –: إن قراءة كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام.

ويقول الشيخ محمد المجذوب – رحمه الله –: ومتتبع ما يكتب الشيخ الندوي يشعر بأن لعبارته الأدبية سحراً لا يتوافر في العادة إلا في العلية من أصحاب المواهب الذين تعمقوا سر الكلمة وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه، وتلك هي الخاصة الرئيسة التي يمتاز بها أولو الأذواق الروحية من المتخرجين في مدرسة القرآن.

ولا جرم فقد اطلع الله على إخلاص هذا العبد الصالح – ولا نزكي على الله أحداً – فبارك في مساعيه، وبارك في مواعظه، وبارك في محاضراته العميقة الغور، الغنية بالحقائق، التي يلقيها هنا وهناك، في الهند، وفي البلاد العربية، وفي إنجلترا.. وفي مختلف المؤتمرات الإسلامية، التي لا ينفك يشارك فيها، ويسافر إليها، مضحياً براحته، ومغامراً بصحته، فأكرمه

سبحانه بالرضوان والقبول، حتى صارت المورد العذب لناشدي الحق.. لأنه لا ينشد من ورائها شهرة ولا منفعة.. ولا شيء إلا ابتغاء رضوان الله.

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي:

أبو الحسن الندوي: إمام رباني إسلامي قرآني محمدي، آتاه الله القلب الحي، والعاطفة الجياشة بالحب لله العظيم، ولرسوله الكريم، ولدينه القويم، فهو يحمل بين جنبيه نبعاً لا يغيض، وشعلة لا تخبو، وجمرة لا تتحول إلى رماد.

هذا القلب الحي يعيش مع الله في حب وشوق، راجياً خائفاً، راغباً راهباً، يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه، كما يعيش في هموم الأمة على اتساعها، ويحيا في آلامها وآمالها، لا يشغله هم عن هم، ولا بلد عن آخر، ولا فئة من المسلمين عن الفئات الأخرى.

وأُشهد الله أني أحبه، وأرجو أن يكون حباً لله تعالى، فقد أحببته لاعتداله ووسطيته، أحببته لنقاء فكره من الخرافة، وصفاء قلبه من الحسد، وسلامة عقيدته من الشركيات وسلامة عبادته من المبتدعات ونظافة لسانه من الطعن والتجريح بالتصريح أو التلويح، أحببته لانشغاله بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة وبالحقائق عن الصور وبالعمق عن السطح، ولست وحدي الذي أحبه، فأحسب أن كل من عرفه واقترب منه أحبه على قدر معرفته به وقربه منه، وكلما زاد منه قرباً ازداد له حباً، ولهذا فلا عجب أن يتفق الناس على شخص أبي الحسن الندوي.

أخلاق الشيخ أبي الحسن وسجاياه:

لم نقرأ عن الشيخ – رحمه الله – فيما بين أيدينا من المصادر – جملة واحدة فيها أي مأخذ أو ملحظ يعاب أو لا يستحسن.

بل كثر الثناء عليه، والإعجاب بشخصه ومسلكه، وتقواه وورعه، وعلو همته، وتعدد مواهبه.

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: ومن هذه الأخلاق الندوية: الرقة والسماحة والسخاء والشجاعة، والرفق، والحلم، والصبر، والاعتدال، والتواضع، والزهد، والجد، والصدق مع الله ومع الناس، والإخلاص، والبعد عن الغرور والعجب، والأمل والثقة والتوكل واليقين والخشية والمراقبة، وغيرها من الفضائل والأخلاق الربانية والإنسانية.

وهذا من بركات النشأة الصالحة في بيئة صالحة في أسرة هاشمية حسنية، (ذريّة بعضها من بعض).

فما أجدره بقول الشاعر:

من الرجال المصابيح الذين هم كأنهم من نجوم حية صنعوا

أخلاقهم نورهم، من أي ناحية أقبلت تنظر في أخلاقهم سطعوا

إن الداعية الحق هو الذي يؤثّر بحاله أكثر مما يؤثر بمقاله، فلسان الحال أبلغ، وتأثيره أصدق وأقوى، وقد قيل: حال رجل في ألف رجل أبلغ من مقال ألف رجل في رجل! وآفة كثير من الدعاة: أن أفعالهم تكذب أقوالهم، وأن سيرتهم تناقض دعوتهم، وأن سلوكهم في وادٍ، ورسالتهم في وادٍ آخر. وأن كثيراً منهم ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف: ٢،٣).

ولقد تميز الشيخ الندوي - رحمه الله - بالقناعة والتعفف، والتعالي عن حطام الدنيا، والبعد عن المظاهر وحياة الترف والسعة، وما كان أيسر ذلك لو تطلعت نفسه إليه، لكنه آثر عيش الصالحين، وزهد المتقين الذين جعلوا همهم الأول والأخير مرضاة الله عز وجل.

يقول الشيخ المجذوب: «وأنا لا أذيع مجهولاً من حياة الشيخ عندما أذكر أنه - وهو العضو الدائم في المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - لم يقبل أن يصرف له فلس واحد من المكافآت السخية

المخصصة لمثله، ولم أعرفه نزل فندقاً - قط - على حسابها، على تعدد المرات التي حضر فيها اجتماعات هذا المجلس. وأنا لا أدري كم في علماء الإسلام من نظير لهذا الزاهد الكبير!».

«إن خاصة الزهد والترفع عن حطام الدنيا، في هذا الجسد النحيل اللطيف، هي التي مكنت له في مضمار الإصلاح والنقد الاجتماعي، فلا يهادن باطلاً، ولا يكتم حقيقة.. وجعلت لكلامه مساغاً في الأسماع، فلا تنكر عليه ما يقول».

خاتمة:

بعد هذه الجولة في حياة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله - ومن خلال ما كتب عنه عارفوه ومعاشروه، من أقرانه وتلامذته وأصحابه ندرك أية خسارة حلت بالأمة الإسلامية بفقد هذا الداعية الرائد المتميز، الذي جمع عراقة النسب، وغزارة العلم، وتنوع الثقافة، وتعدد الألسنة، والإحاطة بمشاكل العالم الإسلامي، والحرص على معالجتها معالجة العالم البصير، والطبيب الحاذق الذي أحسن تشخيص الداء، ومهر بوصف الدواء.

لقد حمل هم الأمة - كل الأمة - على عاتقه، ومضى في حياته يكتب ويؤلف، ويخطب ويحاضر، ويتجشم مشاق الأسفار والرحلات للإسهام في تبليغ دعوة الإسلام، وبيان محاسنه ومزاياه، وربط الأمة بثوابت عقديتها والبعد عن أسباب الشقاق والنزاع التي توهن الأمة وتذهب ريحها.

لم يشغل عن أداء واجبه بمال يثمره، ولا بولد يبغي رفعته وإظهاره، بل كان يستشعر هذا الواجب في جميع حالاته، منذ عقل هذا الواجب إلى أن شاب ووهن عظمه.

ولم تكن الدعوة عند سلّما لمجد، أو طريقاً للوصول إلى غاية آنية، أو منفعة ذاتية.

لقد كان حب الإسلام يملأ قلبه، وهموم الأمة تشغل فكره وعواطفه، وتستنفذ كل وقته وجهده. تلك هي حاله، وذلك هو دأبه وسلوكه.

فما أجدر الدعاة - شيباً وشباناً - أن يضعوا هذا الأنموذج نصب أعينهم، وأن يتخذوا من هؤلاء الأعلام الصادقين أسوة وقدوة.

إن حياة الشيخ أبي الحسن وطريقة معيشته لتجسد للأجيال حياة السلف الصالح - رضي الله عنهم - وتعطينا المثل الحي بأن المسلم يستطيع أن يتغلب على واقعه مهما كان قاسياً، وأن يترقى في مدارج السمو والكمال متى فقه قلبه، وزكت نفسه، وجعل الهموم كلها هماً واحداً، وحصر هذا الهم في مرضاة الله عز وجل.

رحم الله الشيخ أبا الحسن رحمة واسعة. وأجزل أجره في الصالحين ونفع الأمة بما خلف من ثروة علمية، وكنوز دعوية، وطريقة محمدية. وعوضها عن فقده وفقد من سبقه من خيار هذه الأمة.

مراجع البحث

١ - رباني الأمة وداعية الإسلام العلامة أبو الحسن الندوي - أ. د. يوسف القرضاوي.

٢ - فقه الدعوة عند العلامة [أبو الحسن الندوي] - أ. د. يوسف القرضاوي

٣ - الركائز العشرون لفقه الدعوة عند العلامة أبي الحسن الندوي - أ. د. يوسف القرضاوي.

وهذه البحوث الثلاثة مأخوذة من الأنترنت [الثقافة والفكر Islam-Online] - .http:\\www.islam-online.net\ioi-arabic\qadaya\alnaqawi\naq.asp

٤ -

٥ - أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب - السيد عبدالماجد الغوري.

٦ - آخر الراحلين في عام الحزن - محمد حسن يريغش - مجلة المجتمع عدد ١٣٤ - ١٣٨٤ شوال ١٤٢٠.

٧ - أبو الحسن الندوي عالم آخر تفقده الأمة - د. طارق البكري - مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤١٠ - شوال ١٤٢٠.

٨ - أبو الحسن الندوي منحى متميز في الحياة العلمية والرحلات الدعوية - محمد نعمان الأعظمي الندوي.

٩ - أبو الحسن الندوي - الداعية الأديب - د. منجد مصطفى بهجت.

١٠ - واكتمل عام الحزن - د. عبدالقدوس أبو صالح.

١١ - مؤلفات الندوي - شخصية لكل كتاب - بدر الحسن القاسمي.

١٢ - رجل الشيخ أبي الحسن بعد حياة حافلة العطاء - بدر الحسن القاسمي.

وهذه الأخيرة ٨-١٢ نشرت في مجلة المجتمع بعد وفاة الشيخ رحمه الله.

١٣ - علماء ومفكرون عرفتهم - محمد المجذوب.